العرفية ليست من صنع أحد من أفراد الجماعة ، وإنما هى ميراث من العادات العرفية التى تكونت على مر السنين ، وارتضى أفراد المجتمع عامة الخضوع لها ومراعاتها ، ولكى يعيش الفرد متوافقا مع مجتمعه يجب أن ينسجم سلوكه مع المظاهر الاجتماعية العرفية ، وإلا تعرض لعقوبات تتدرج من السخرية منه ، إلى الامتناع عن مزاملته وصحبته ومعاملته ، إلى العقوبات القانونية الرادعة — كما هو الحال فى حالة الجريمة — وكل هذه أنواع من الضغوط الاجتماعية العنيفة التى يتعرض لها الفرد إذا خرج على السلوك العرفى المقرر للجماعة ، ولنفترض أن إنسانا ما خلع كل ملابسه ، وسار فى أحد شوارع القاهرة عاريا كما ولدته أمه ، أو أن إنسانا آخر ارتدى زياً غريباً على الناس ، فخرج عليهم « بطربوش » طويل تعلوه قبعة ، وتحته جلباب بلدى قصير إلى ما فوق الركبة ، وشراب ملون بدون حذاء ، ولنا حينئذ أن نتصور مدى الدهشة والسخرية التى يقابل بها الناس كلا منهما ، وما يصب عليه من لعنات ، بل وربمـــا أقدم أحد المارة فى الشارع على الإمساك به وتقديمه إلى أقرب مركز للشرطة أو إرساله إلى مَصَحّ للأمراض العقلية .

ومثل الملابس غيرها من أنواع السلوك الأخرى ، فنحن مثلا أمة مسلمة إذا أظلها شهر رمضان ، فرض العرف الدينى على الناس الامتناع عن الطعام والشراب وكل أنواع المفطرات ، فلنفترض أن شخصاً ما وقف فى نهار رمضان فى أحد المساجد وهو يلتهم الطعام ويعب الماء عباناً بياناً ، فماذا يكون مصيره ؟ ! أغلب الظن أن شعور الاستياء العام سوف يعم كل من يتصادف وجوده فى المسجد حينئذ من هذا السلوك الشاذ ، وسيقدم الكثيرون منهم على سبه وردعه وطرده من المسجد ، وربما نالته من أحدهم عقوبة بدنية قاسية .